## حوار : قراءة فی الفکر الغربی الإسلام و المستقبل

پدیدآورنده (ها) : عمادالدین خلیل

میان رشته ای :: نشریه المسلم المعاصر :: ربیع الآخر - جمادی الأولی - جمادی الآخر ۱۴۱۸ - العدد ۸۵

صفحات : از ۱۴۷ تا ۱۸۰

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/746874

تاریخ دانلود : ۱۴۰۲/۰۲/۱۳

مرکز تحقیقـات کامپیوتری علوم اسـلامی (نور) جهت ارائــهٔ مجلات عرضه شـده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اسـاس همه حقوق مادی برآمـده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشـر و عرضه مقالات در قالب نوشـتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشـد و تخلف از آن موجب پیگرد قـانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صـفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

## عناوین مشابه

- مهدی علام فی حوار صریح مع «منبر الإسلام» التعلیم الإسلامی لیس متخلفا و هذا هو الدلیل لماذا نتجاهل الفکر التربوی الإسلامی فی مجتمعاتنا؟!
- حضارة: الإسلام و إشکالیة المنهج فی الخطاب المعرفی الغربی قراءة فی لزوم ما لا یلزم (۲۱)
- حضارة: الإسلام و إشکالیة المنهج فی الخطاب المعرفی الغربی (قراءة فی لزوم ما لا یلزم)
- منتدی المنهاج: الفکر السیاسی فی الإسلام (۲): المشارکة السیاسیة فی الدولة الإسلامیة، قراءة فی التعددیة الاعتقادیة و السیاسیة و الحزبیة
- الفکر و حریة العقل فی الإسلام
- حوارات: العقلانیة. التراث و المعاصرة. قراءة النص فی الفکر العربی المعاصر
- الصراع الحضاری و العلاقات الدولیة قراءة فی فکر الإمام الخمینی و الفکر السیاسی الأمیرکی
- فی بیان القاهرة الصادر عن مؤتمر تجدید الفکر الإسلامی؛ الدعوة إلی التجدید لا تعنی التفریط فی تعالیم الدین و قیمه الثابتة؛ ما تمتاز به شریعة الإسلام من مرونة و وسطیة یجعلها مع کل تقدم حضاری
- رسائل : المجتمع المثالی فی الفکر الفلسفی و موقف الإسلام منه
- حوار : ملاحظات حول مقال - الإسلام فی الزمان و المکان - للدکتور حسین أتای

www.noormags.ir

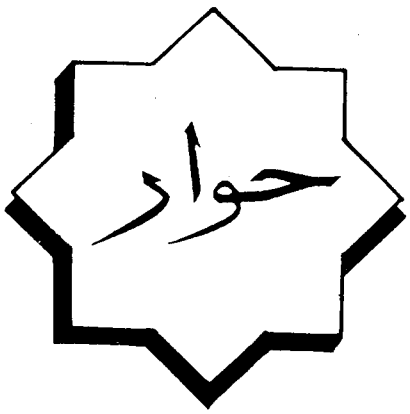


# قراءة في الفكر الغربي
# الإسلام والمستقبل

أ . د . عماد الدين خليل

إن الصدمة الغربية على عنفها وشراستها وما تتضمن من بطانة مذهبية وبعد حضارى ، لم تطو الإسلام أوعالمه، بعبارة أدق لم تدفعه إلى الانحناء أو الاستسلام ، بل إننا قد نجد ماهو نقيض هذا تمامًا : التجدد والانبعاث والقدرة على مواصلة العمل بأكبر قدر من الفاعلية .

لكن هذا الذى سنتحدث عنه بعد قليل من خلال قنوات الرؤية الغربية ليس كل شيء ، وسندخل بالتاكيد دائرة الوهم الرومانسى المخدر ، الذى هو أقرب إلى حالة مرضية غير متوازنة ، إن استسلمنا أو أقنعنا أنفسنا بأن الصدمة لم تحدث فى عالم الإسلام على مستوى العقيدة والارتباطات العقدية، وليس فقط على مستوى الجغرافيا والاستراتيجية والاختصاص - خسائر أو أضراراً. إن اعتقاداً كهذا ، فضلاً عن كونه خطأً علميًّا أو موضوعيًّا فى مجال التعامل مع التاريخ ؛ فإنه فى الوقت نفسه نوع من خداع الذات ، أو دفن الرأس فى الرمال من أجل تصور الاّ خطر أو خسائر أو انكسارات هنا وهناك . إنه حلم مرفوض حتى على مستوى التعبير الذاتى بالشعر والأدب عموماً ، عن قدرة الإسلام على المجابهة ... تغنٍّ بأمجاد موهومة لا تعين على الصمود والحركة ، وإنما تتوق إلى الاستسلام والسكون ، وربما يكون هذا هو هدف بعض الغربيين من إطرائهم الزائد لتاريخ الإسلام أو حضارته ، الأمر الذى يذكر باستنتاج معروف للمفكر الجزائرى مالك بن نبي تحدث

www.noormags.ir

عنه فى محاضرة له بعنوان ( إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث )[١] .

لكن هذا كله لا يمنع من أن نجد وبوضوح تام ، كيف صنع التحدى الغربى استجابة ناجحة فى كثير من الأحيان ، وكيف أدّت الصدمة إلى التماسك وكيف جوبهت إرادة الموت والتفكيك والدمار بإرادة الانبعاث والتواصل والحياة .

إن الباحثين الغربيين يلحظون هذا جيداً ويتحدثون عنه ، بل إنهم يمدون أنظارهم صوب المستقبل ؛ لكى يشيروا إلى ما يمكن أن يفعله الإسلام يومها ، دون أن تأسرهم اللحظة الموقوتة ، فتميل بهم صوب رؤية تشاؤمية إزاء موقف الإسلام فى العالم . إنهم ها هنا موضوعيون إلى حد كبير ، أعنى فى هذه النقطة بالذات : النظرة الشمولية التى تتجاوز الحدود الزمنية فلا تصدها عن الرؤية الصائبة واقعة هنا وواقعة هناك ؛ لأن ماوراء الوقائع الراهنة أحياناً إيذان بتمخض قد تتغير به المصائر والمقادير.

إن مارسيل بوازار مثلا يشير إلى احتمال قيام نهضة مستقبلية فى عالم الإسلام تستمد مقوماتها (من طابع الرسالة الإسلامية الإجمالى وأثره الحاسم فى وجدان المؤمنين ) ولكنه لا ينسى أن يشير - كذلك - إلى أن نهضة كهذه قد تتضمن اليسر والعسر ( فى آن معاً ) ويعتبر هذه المسألة (بديهية) يتحتم أن (يدركها المسلمون تمام الإدراك )[٢] .

وبوازار محق فى هذا ؛ لأنه ينظر إلى المسألة من جانبيها ، فلا يسد الطريق أمام احتمالات المستقبل ، ولا يمنى المسلمين بحلم سهل تصير فيه المعجزة أمراً مشهوداً وهم قاعدون . إنما لا ينسى بوازار أن يعيد تأكيده المرة تلو المرة على أن نهضة كهذه تظل مشروطة ببعدها الدينى ، ذلك (أن الإسلام الراشد يرفض فصل الروحى عن الزمنى )[٣] . وبالتالى فإن أية محاولة لبناء نهضة على أساس لادينى سيؤول إلى الفشل ؛ لأنه لا يعدو أن يكون إلا تزييفاً على السطح ، وعملاً مصطنعاً لايحاول أن يمد جذوره فى الأرض

(١) إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ، ص ١١- ١٤.
(٢) إنسانية الإسلام ص ٧٤.
(٣) نفسه ص ٧٨.



www.noormags.ir

فيسهل اقتلاعه ... بينما يظل الإسلام وحده ، (بديناميته كفيل بإقامة مجتمعات جديدة)[1] وما نريد إسلامية الصياغة المستقبلية للنهضة المنشودة تأكيداً أن المسلمين، كما يلحظ بوازار ( يَعُون الاضطراب النفسانى الذى تعانيه الحضارة الصناعية والمادية، ويثقون فى الإمكانات الاقتصادية المستقبلية للدول الإسلامية) ؛ ولذا يجدون أنفسهم فى الطريق (للحصول على ضمانة ذاتية تسهل لهم اكتشاف أشكال سياسية واقتصادية أصيلة متوافقة مع روح التنزيل بشأن الجماعة ، ويكون تطبيقها بالتالى أيسر على صعيد الممارسة العملية)[2].

وبوازار يؤكد أن ليس ثمة ـ أمام الدول الإسلامية ـ (أى خيار بديل لبناء مستقبلها) وأن (ليس على المفكرين المسلمين أن يعدوا بناء أيديولوجيا) فهذا أمر حاصل ، إنما عليهم ( أن يخلصوا الإسلام من ثقل التقاليد المتراكمة ، فيعود كما كان فى البدء : تحرير العقل ، وثورة الفكر الحرّ ، وتوطيد الإنسان )[3] .

العودة إلى النبع ...ذلك هو المطلوب، دون إنكار- بطبيعة الحال - للخبرات ( التاريخية ) العقيدية والفقهية الأصلية التى تشرح وتوضح وتلاحق المتغيرات. وهذه بالتأكيد ليست (التقاليد المتراكمة ) التى يعنيها بوازار ، والمهم أن العودة إلى النبع هى القاعدة والمنطلق ، فهناك فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يمكن أن نجد الإجابة على كل سؤال ، والتخطيط لكل ماهو كائن وما يمكن أن يكون ، على مستوى الروح أو المادة، والسماء والأرض ، الدين والسياسة معاً (...إن الإسلام المعاصر، بطموحه وديناميته، فى حالة استعادة كاملة لدعوته دينًا منفتحا يفرض قيمًا جوهرية دائمة . وهذا هو ذا الإسلام الدينى يمتد ويتسع، والإسلام السياسى يترسخ ويتوطد)[4].

ورغم أن القرآن الكريم يمنح

(١) نفسه ص ٣٥٥.
(٢) نفسه ص ٣٧٥ - ٣٧٦.
(٣) نفسه ص ٣٨٥.
(٤)نفسه ص ٣٨٨.


www.noormags.ir

المستقبل الإسلامى ( ثقة مطمئنة وحافزًا قويًّا فى وقت معاً) فإن الأمر يبقى (رهنا بما يصنعه المسلمون أنفسهم )[١].

وهذا حق، فبدون إضافة الإرادة البشرية إلى المبادئ والمعتقدات فإنه ليس ثمة شيء ...ومرارًا يحدثنا القرآن الكريم ، ويحذرنا فى الوقت نفسه من هذا الانفصال المحزن بين العقيدة والفعل ؛ حيث سيقت جماعات شتى عبر التاريخ إلى الدمار ، بينما ظلت جماعات أخرى تنتظر حدوث المعجزة دون جدوى . وفى هزيمة أُحد - على سبيل المثال - يتساءل المسلمون عن الأسباب فأجابهم كتاب الله: ﴿**أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم**﴾[٢]

وستتكرر المأساة ، وستظل تتكرر الآن وفى المستقبل ،إذا لم يتحقق الالتحام بين العقيدة والعمل. ولن يكون هناك مستقبل إسلامى ، رغم كل ما يعد به كتاب الله سبحانه وأحاديث رسوله (صلى الله عليه وسلم ) إلا بأن تنضاف إرادة المسلمين أنفسهم إلى وعود الله ورسوله .

يمضى بوازار لكى يؤكد النزوع التجاوزى للإسلام الذى لايقف أو يسكن عند ما هوكائن ، بل يمضى نحو الأحسن والأعلى صوب ما يجب أن يكون . إن الإسلام - كما يلحظ الرجل - يخلق ( مثالية حقيقية ؛ لأنه خضوع لنظام استعلائى) وعندما يورد بوازار كلمة (حقيقية ) مضافة إلى المثالية الإسلامية فإنه يعنى ما يقول على وجه التحديد، فإن مثاليات شتى حلم بها مئات الوضعيين وأتباع الأديان المحرفين ، فلم تتحقق ولم تصنع شيئًا ؛ لأنها فى الواقع لم تكن (حقيقية) ، ها هنا حيث الدينامية) التى ( يولدها ) المناخ الدينى فى الإسلام ، وحيث النزوع الدائم إلى فوق ، وحيث ( التعبير عن المجتمع ليس تبعاً لما هو عليه وإنما لما يريد أن يكون عليه)[٣] كفيلة بأن

(١) نفسه ص ٣٨٩ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٦٥.
(٣) إنسانية الإسلام ص ٤٣١.



www.noormags.ir

تقرب المثال، أو تقترب منه ، فتجعل معطياته متحققة فى العالم ، متجذرة فى الأرض .

ويلجأ بوازار إلى الخبرة التاريخية لكى يؤكد ، بل يشدد (على صلاحية الإسلام للزمن الراهن) ولكل زمن آت بطبيعة الحال ، فإن وراء هذه الخبرة تلك الصلاحية ( قناعة دينية ) تحمل (ديمومتها) التى تتجاوز نسبيًّا الزمن والمكان[1] وما يلبث بوازار أن يلخص الأمر كله بهذه الكلمات (سوف يستعيد الإسلام مصيره دون ريب إذا حكمنا عليه من خلال القدرة الخارقة التى أثبتها تاريخيا على التكيف والانبعاث)[2] .

أرنولد توينبى يستقرئ - أيضًا - ما يمكن أن يقوله التاريخ بصدد مستقبل الإسلام ثم يصدر حكمه ( فإذا كان للسوابق التاريخية معنى عندنا - وهى إشعاعات الضوء الوحيدة التى يمكن أن نلقيها على الكلمات التى تكتنف مستقبلنا - فإنها تنذر بأن الإسلام ... قادر على التأثير فى المستقبل بأساليب عدة تسمو على فهمنا وإدراكنا)[3] .

كلود كاهن يشير هو الآخر إلى ما يسميه (بالظاهرة) التى (تسترعى الانتباه فى كل مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامى ، الا وهى قدرة المسلمين على النهوض من كبوتهم ؛ ذلك لأن التاريخ الذى صنعه فى بداية الأمر نفر قليل من أناس منعزلين قد أصبح العمل المشترك لمجموعة من الشعوب انتسبت للإسلام على مر الزمن وظلت مخلصة له إخلاصًا مطلقًا[4] .

إن ما فعله الأسلاف يمكن أن يفعله الأحفاد ، كما يؤكد جورج سارتون، وبذلك ( يستعيدون ثانية مكانتهم فى قيادة العالم ) ولا ينسى سارتون أن يذكر بأن مهمة كهذه (ليست أمراً سهلاً) بل لحلها تزداد (الصعوبة يوماً بعد يوم) لكن الأمر فى نهاية التحليل ليس مستحيلاً بل إنه (ممكن)[5].

وبالفعل فلقد (تحرك) الشرق الجامد

(١) انظر : المرجع نفسه ص ٤٢٢.
(٢) نفسه ص ٤٣٢.
(٣) الإسلام والغرب والمستقبل ص ٦٠.
(٤) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية جـ ١ ص٤٠٥.
(٥) الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط ص ٦٩.

www.noormags.ir

أخيراً حتى القرارة القصوى من أعماقه) ، كما يقول الباحث الأمريكي لوثروب ستودارد: ( وهو اليوم في أشد ما يكون من الانفعال .. وذلك قائم فيه وبالغ منه أكثر مما يخال الخائل ويتصور المتصور . فالعالم الإسلامي الذي ظلت قواه العقلية والروحية هاجعة ما يقرب من ألف سنة قد استيقظ مرة أخرى وطفقت قواه تعمل عملها العجيب ، وغدا المسلمون يعظمون شأناً من جديد ويعلون منزلة في الأرض )[1] فما دام الحافز والمنطلق .. مادام المرشد والهادي موجوداً بكماله ، كما كان يومها ، وكما سيكون أبداً بحكم الوعد الإلهي بحفظ كلمته الباقية في الأرض متمثلة في كتابه الكريم ، فإن السكون أو الجمود ليسا سوى حالة عرضية طارئة ستتمخض عنها باستمرار الحركة والانبعاث بمجرد التماس الجاد مع كتاب الله .

لورا فاغليري ترى رأي العين هذه الحقيقة التي كررت نفسها ولا تزال، فتسمي جمود المسلمين (مرضًا زائلاً ) وهي تلحظه يزول بالفعل،لأن المسلمين يجدون أنفسهم تارة بعد أخرى مضطرين ، وسط ضياعهم ، وضياع العالم ، إلى العودة إلى كتابهم العزيز ( الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه ، لا المثقفون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذي لايبليه الزمان ، والذي لايزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمِّي آخر الأنبياء حملة الشرائع . إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب. وثمة بينات قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلاً [2].

ويحدد ليوبولد فايس (محمد أسد) المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم بأنها (مشكلة مسافر وصل إلى مفترق طرق : إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه ، ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعاً ، وهو يستطيع أن يختار طريق المدنية الغربية ، ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد ، أو أنه

(١) حاضرالعالم الإسلامي ج٤ ص ٢٨٢ .
(٢) دفاع عن الإسلام ١٣٣-١٣٤.



www.noormags.ir

يستطيع أن يختار طريق ( حقيقة الإسلام ). إن هذه الطريق وحدها هى التى تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حى)[1].

وهذا حق ، فإنه ما من أمة فى التاريخ قدرت على أن تصوغ مستقبلاً يتسم بالحيوية والفاعلية ، إلا كان لها فى خبراتها العقدية والتاريخية هادياً ودليلاً، وإلا فليس ثمة مستقبل على الإطلاق. وحتى تلك الأمم التى توهمت القدرة على فك الارتباط النهائى بالعقيدة والتاريخ عادت مرغمة بعد رحلة صعبة لم تدم طويلاً لكى تقطر حركتها بالجذور الأكثر إيغالاً وتأثيرًا.

ومن خلال خبرته الميدانية بأحوال العالم الإسلامى المعاصر، قدر فايس على أن يفصل بين حال المسلمين أنفسهم وبين العقيدة التى ينتمون إليها ( لم يكن عندى أية صورة خادعة عن أحوال العالم الإسلامى ، فالسنوات التى قضيتها فى تلك البلاد قد أظهرت لى أنه فى حين كان الإسلام حيًّا ما يزال مدركاً فى فطرة أتباعه.. كانوا هم أنفسهم مشلولين غير قادرين على أن يحولوا اعتقاداتهم إلى عمل مثمر . ولكن ما همنى أكثر من فشل مسلمى اليوم فى تطبيق نظام الإسلام إمكانيات ذلك النظام نفسه . لقد كفانى أن أعلم أنه لفترة قصيرة فى أوائل التاريخ الإسلامى ، بذلت فعلا محاولة ناجحة لتطبيق ذلك النظام وأن ما بدا ممكنًا فى وقت ما يمكن أن يصبح ممكنًا حقًّا فى وقت آخر )[2] فالنظام الإسلامى يحمل إمكانياته الأبدية على الانبعاث، والتاريخ الإسلامى الذى قدم لنا نموذج محاولة ناجحة لتطبيق النظام قادر على أن يفعل مرة أخرى بمجرد توفر الشروط واستكمال الأسباب . إن ما يقوله فايس هنا يذكرنا بما سبق أن أكده بوازار ، وتوينبى وكاهن وسارتون... وهو يخلص إلى القول بأن الحنين والشوق إلى البعث الدينى والسياسي فى روح الإسلام الحقيقية.. لايمكن أن يقضى عليهما فى قلوب الشعوب الإسلامية)[3].

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص٨٥-٨٦ .
(٢) الطريق إلى مكة ص٣٢٣ .
(٣) نفسه ص٣٣٣.


www.noormags.ir

إنها إذن ظاهرة أبدية لا يمكن أن تختفى أو تغيب رغم ما قد يتوهمه البعض - لسبب أو آخر - من غيابها، لكن الواقع الذى نشهده جميعًا بأم أعيننا يؤكد جانب الحضور الدائم للظاهرة الفذة . وهكذا يقول كامبفماير: (أستطيع أن أؤكد أن البلاد الناطقة بالضاد ... ستلعب دورًا غاية فى الأهمية وربما كان دورًا حاسمًا... ونهضة الإسلام فى هذه البلاد أمر واقع لا سبيل إلى رده .. ولن يقوى أحد على إيقافها ؛ لأنها الأساس الذى يحتاج إليه الناس لتقوم عليه نهضتهم الوطنية ... وسيحدث مثل هذا الأثر فى الأصقاع الأخرى من العالم الإسلامى .. ولن يقوى الانحلال السياسي على تغيير شيء من خصائص الحاجات الوطنية والدينية العامة ).[1] يعود كامبفماير لكى يؤكد ثانية وجود ( نهضة إسلامية قوية ، خلقية ودينية واجتماعية ) فى (الشرق العربى) وأنها ( ستكون أساس الحياة الجديدة) وأنه ليس ثمة أمام الشعوب الإسلامية إلا أحد أمرين: إما النهضة الإسلامية، وإما المادية والفساد الخلقى) ويتساءل: أيهما خير للشعوب الإسلامية ؟ [2].

ولقد قدمت العقود التالية إجابة على سؤاله ، فلقد جربت هذه الشعوب أو سيقت بعبارة أدق ، ومن حيث لم تختر أو تريد ، إلى المادية والفساد الخلقى ، فماذا جنت غير مزيد من الشقوة والتفكك والخضوع؟

لقد كان هذا المصير - إذا أردنا الحق - بمثابة عدوان مرسوم ضد الشعوب الإسلامية ، لكنه - كما يلحظ كامبفماير - لم يأت بنتيجة حاسمة فى رد المسلمين عند دينهم ، بل على العكس فإنه ما زاد هذا الارتباط إلا قوة[3].

فلكل فعل رد فعل يساويه فى القوة ويخالفه فى الاتجاه ، وكل تحد سيلقى الاستجابة التى تعرف كيف تضع الأمور موضعها الحق ، قصر الوقت أم طال . وها هى ذى العقود الأكثر حداثة من تاريخنا المعاصر تؤكد

(١) وجهة الإسلام ص ٩٩- ١٠٠.
(٢) نفسه ص١٠٢.
(٣) نفسه ص ١٠٣.



www.noormags.ir

صدق مقولة الباحث المذكور ؛ فإنه ليس ثمة شئ فى العالم أو قوة فى الأرض يمكنها ( أن ترد المسلمين عن دينهم)[١] .

وغير كامبفماير كثيرون ، وقد يكفى أن نتذكر بعض استنتاجاتهم بإيجاز . لوبون يؤكد أن الزمن الذى أصاب بالدثور والإضمحلال حضارة العرب أسوة بالحضارات التى سبقتها ( لم يمس دين النبى الذى له من النفوذ اليوم ما كان له فى الماضى ، والذى لايزال ذا سلطان كبير على النفوس، مع أن الأديان الأخرى التى هى أقدم منه تخسر كل يوم شيئا من قُوَّتها)[٢]. وهو يعود لكى يؤكد بأن (تأثير دين محمد فى النفوس أعظم من تأثير أى دين آخر.. )[٣] هذا التأثير الذى يؤكده شاخت فيما يسميه (القانون الدينى ) أو التشريع الذى يستمد حيثياته من العقيدة ، والذى يتصف بالعمق ، وبما يملكه من ( سلطان روحى متأصل ) والذى يمتد لكى يغطى سائر الأنشطة الحيوية بما فيها (السياسة والاقتصاد)[٤]. وهو تشريع يلحظ سير هاملتون كب مدى ( احترام ) المسلمين له وأنه (لايزال لب التفكير الاجتماعى الإسلامى ) (وأن الإبقاء عليه يرتبط وأنه به بقاء الإسلام أو زواله من حيث هو نظام مؤثّل )[٥]. وانطلاقاً من هذه الحقيقة فإنه ( ليس بين البلاد الإسلامية- كما يؤكد كب - بلد يعلن عن رغبته الصريحة فى الإستغراب أو (التغرب ) باستثناء البلاد التركية ، ولكن هذه أيضا لا تعلن عن رغبتها اليوم بتلك الثقة التى أعربت عنها منذ عشرين سنة ( زمن الكمالية ) ، وفيما عدا هذا الاستثناء الضعيف يغلب على أبناء العصر من المسلمين الذين ينقمون على مساوئ العصر الحاضر أن يحملوا الغرب أوزار هذه المساوئ ، ولا يعلقوا آمالهم فى الإصلاح بمشابهة الغرب والاقتداء بأممه فى جملة أحوالها)[٦].

(١) نفسه ص ١٠٣ .
(١) حضارة العرب ص ١٢٦.
(٢) نفسه ص ٤١٧ .
(٣) الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية ص ١١٩.
(٤) دراسات فى حضارة الإسلام ص ٢٦٥-٢٦٦ .
(٥) الشرق الأدنى الإسلامى ( عن العقاد : مايقال عن الإسلام ص ٦١) .


www.noormags.com

أى وبإيجاز تام فإن صياغة المستقبل المرتجى إنما تقتبس خطوطها وملامحها من الرؤية الإسلامية ، على الأقل على مستوى المطامح والآمال ، رافضة مقاربة المنظور الغربى للحياة أو التشبه به أو الاقتداء بأممه ، وهو موقف مغاير تمامًا لما سعى الغربى نفسه إلى أن يفرضه على عالم الإسلام زمن الصدمة الاستعمارية ، ولكن يبدو أن المحاولة آلت إلى الإخفاق.

لورتورنو يلحظ (أن الانطباع الأول الذى يتركه الإسلام فى نفوسنا أنه ذو حيوية عظيمة ) وهو يتابع الظاهرة فى الأرض المغربية التى عايشها حينًا من الدهر ويعرفها جيدًا. إنه يجد كيف أن الإسلام قد طبع المغرب ( بطابعه العميق ... وأن الجوامع والمساجد والمبانى الدينية عامة كثيرة العدد جدًّا، وأن أفراد الناس يستخدمون باستمرار فى أحاديثهم عبارات يرد فيها اسم الله تعالى .. وأننا نجد فى أحاديثهم مقتبسات كثيرة من آيات القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة . وأن مظاهر التدين الجماعى تبدو غالبًا على جانب كبير من الروعة ، كالصلوات اليومية فى الجوامع ، وصلاة الجمعة، والصلوات العامة فى الهواء الطلق أيام الأعياد والحج ، ولعل فوق هذا كله صيام شهر رمضان ، وأخيراً لايزال الشعور الإسلامى دقيقاً ...[1] ثم هو يجمل ملاحظاته فى الاستنتاج التالى : (إن الغالبية العظمى من مسلمى شمال أفريقيا دقيقون فى اتباع أحكام الشريعة دقة عظيمة بحسب معرفتهم بها )[2]. و إذا كانت السلطة الفرنسية الصليبية الاستعمارية قد رمت بثقلها على مدى قرن ونصف لتغيير اتجاه الظاهرة ولىّ عنقها ، فإنها لم تقدر ، بينما قدرت إلى حد ما بعض القيادات المحلية ، فى مرحلة ما بعد الاستعمار من إنجاز شىء مما أراده الاستعمار نفسه . ومع ذلك وقياساً على التطلعات الإسلامية الأكثر حداثة ، فإن الأمر كله ، لم يعدُ أن يكون جملة اعتراضية فى سياق تاريخي ملتحم ، صابر ، طويل . لم يكن المرابطون والموحدون والسنوسيون .. ولم يكن الجزائرى والخطابى والمختار وحركة العلماء وجبهة التحرير

(١) الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية ص ٣٤٨- ٣٤٩ .
(٢) نفسه ص٣٥٨.



www.noormags.ir

الجزائرية سوى حلقات فى خطة المكافح الذى يبدأ بطموح عقبة بن نافع لاجتياز بحر الظلمات ، وبعبور طارق بن زياد المضيق الفاصل بين أفريقيا وأوربا ، وبإيغال الدعاة والمعلمين الكبار فى عمق أفريقيا السوداء ، ويستمر بعدها متدفقًا بالحيوية نفسها ، بالطموح ذاته بالالتزام المنفانى بعهد الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم ) وبالوفاء الذى يشع نقاء لذكرى الآباء والأجداد .

فى كتاب (وعود الإسلام) لروجيه غارودى نلحظ بُعدًا مستقبليًّا ، كما يبدو واضحًا من العنوان . من ثم فإن الكتاب كله يمثل شهادة لما نحن بصدده : الانبعاث ، والصيرورة ، والقدرة المدهشة على المشاركة فى صياغة الزمن الآتى (وهذه المسألة سنفرد لها المقطع الأخير من هذا البحث) .

ونحن كمسلمين نعرف أن للإسلام وعوداً ، هى معرفة تبلغ لدينا بالتأكيد مستوى اليقين ، بل إننا لو تمعنا فى نسيج هذا الدين فأعملنا فكرنا فى طبيعة رؤيته للحياة لرأيناه، بشكل من الأشكال ، عقيدة مستقبلية ؛ لأنها تجعل ، أو تحاول أن تجعل الحياة البشرية مشروعًا حركيًّا متواصلاً يسعى باستمرار لجعل العالم أكثر صلاحية للإنسان ... أشد تناغمًا وانسجامًا مع دوره المرسوم فى الكون.... إن هذا بالتأكيد يتضمن صيرورة ترفض السكون على الراهن وتتحرك دومًا باتجاه مستقبل تتجلى فيه قيم الإسلام أكثر فأكثر. أيضًا ، فإننا لو حاولنا أن نختبر تاريخ الإسلام، أى إنعكاسه فى الزمن والمكان ؛ فإننا سنرى هذه الحقيقة رأى العين . وليست الحضارة الإسلامية بنموها المتزايد ، والتشريع الإسلامى بغناه ، وديناميته ، سوى تعبيرين فحسب عن هذا التوجه المستقبلى للإسلام ، عن الوعد الذى يمنحه للأمم التى تعمل وفق منهاجه ، ويعينها على التحقق به .

نحن كمسلمين نعرف هذا جيداً ، لكن أن تجىء الشهادة على يد مفكر كان إلى وقت قريب خارج دائرة الإسلام ، وخبر جيدًا معظم المذاهب والأديان خارج هذه الدائرة كذلك ، وبلغ مرتقىً صعبًا فى ساحة الماركسية

www.noormags.ir

فكراً وتنظيمًا ... فإن المسألة تختلف.

ومهما يكن من أمر فإننا سنشير هنا - بإيجاز - إلى بعض ما يراه الرجل فى هذا المجال ، ثم لن نلبث أن نعود إليه ثانية فى ختام المقطع الأخير من هذا البحث ، لنعاين جانبًا من معطياته عن أوجه المشاركة العالمية للإسلام واحتمالاتها المتعددة ، حيث تنصب معظم مادة كتابه المذكور .

إن غارودى يلحظ منذ البدء أن (الوعى اليوم بما ندين به للإسلام) ليس مسألة أكاديمية لأغراض الدراسة والتحليل النظرى .. ليس أيضا حلمًا نتلذذ به لما يمكن أن يقدمه للمستقبل.. إنما هو فعل ملتزم يكافح ويبدع من أجل المستقبل . إن هذا الوعى (ليس قط من تخصص مؤرخ أو تلذذ حالم)ولكنه ( مهمة عامل ملتزم ، مناضل ومبدع للمستقبل)[١]. فهو فعل متواصل يستهدى ببرنامج عمل مرسوم ، ويكافح من أجل مستقبل أكثر عطاء وإبداعًا ، فهو - أى الإسلام - ( يحمل بذور تغيير جذرى على مستوى الإنسانية )[٢] ، وبالتالى فإن (بعثه هو بعث للإنسانية بأكملها) ما دام أنه فيما ضيه أسهم فى تشكيل ( فترة مجيدة مشرقة فى الملحمة البشرية)[٣] .

باختصار فإن المسألة ليست مسألة الإسلام وحده (إنها قضية مستقبلنا . قضية مستقبل جميع البشر)[٤]. ومن ثم فإن كتاب (وعود الإسلام ) (ليس كتابًا فى التاريخ) - كما يقول مؤلفه ( لكنه اقتراب جديد من الإسلام ومن وراء الإسلام كقوة حية ، ليس فحسب فى ماضيه ،وإنما فى كل ما يستطيع أن يسهم به اليوم فى ابتكار المستقبل[٥].

[ ٢ ]

والآن ، فلعل واحدة من أبدع ما تحدث به الغربيون عن حاضر الإسلام ومستقبله إنما هى معطياتهم بصدد هذه المسألة التى يسميها غارودى (ابتكار المستقبل) ... ما الذى يمكن للإسلام أن يفعله أو يقدمه للعالم مستقبلاً ؟ ما طبيعة الدور الذى

(١) وعود الإسلام ص٢٢ .
(٢) نفسه ص١٥٦.
(٣) نفسه ص ١٧٩.
(٤) نفسه ص ١٨٧.
(٥) نفسه ص ١٨٧.



www.noormags.ir

يستنتج الغربيون أن بمقدوره أن يمارسه فى بناء العالم .

يجب أن ننتبه منذ البدء إلى أنهم يتخيلونه ، أو يريدونه على أحسن تقدير ، عالماً تصوغه سائر العناصر الإيجابية من المذاهب والنظريات والأديان كافة . أى أن بمقدورنا أن نتصور - على سبيل المثال - إمكان أخذ المحبة عن المسيحية ، والتوحيد عن الإسلام ، والعدل عن الشيوعية واحترام قيمة الإنسان عن الحضارة الغربية ، وشىء آخر عن اليهودية ، وقيمة خامسة أو سادسة عن البوذية ....الخ وصهرها فى بوتقة واحدة لكى يخرجوا على الناس بعقيدة أو مذهب جديد يمكن أن يكون صالحًا تمامًا للعالم فى مستقبله القريب أو البعيد ، كتلك الديانة الرباعية التى اقترحها برنارد شو فى ( العودة إلى ميتوشالح) أو غيرها من محاولات اليوتوبيين والحالمين . أما المسلم الجاد فإنه يريده على وجه التحديد ( عالما إسلاميا) لا يريده أو يحلم به فحسب، وإنما هوملزم بأمر الله ورسوله بالسعى لتحقُّقه فى الأرض ، ما دام الإسلام ، ولاشىء غيره، يمكن أن يصوغ العالم المرتجى .. الإسلام بتفرده وتميزه وتصوراته الشمولية، وبقدرته على مجابهة سائر الصيغ والمتغيرات وجعلها تنطوى فى نسيجه العام ورؤيته للكون والحياة .. الإسلام المكتفى بذاته والذى هو ليس بحاجة أساساً لاستضافة أية أجسام غريبة عن تكوينه ونبضه .

صحيح أنه ، باعتباره الدين السماوى الأخير ، قد تضمن - بالضرورة- قيمًا وعناصر من جوهر الأديان التى سبقته. وصحيح أنه - على المستوى التشريعى لا العقدى - يمكن أن يأخذ ويقتبس ما ينسجم ورؤيته من المذاهب الأخرى ، لكنه كعقيدة ، كمنظور شمولى للحياة ، لا يمكن - بحال - أن يتقبل أية إضافة خارجية ،كما لا يمكن فى الوقت ذاته أن يوافق على الاندماج فى مذاهب وأديان أخرى بحجة المشاركة فى صياغة عالم أكثر ملاءمة لمستقبل الإنسان . إن أى تحرك صوب أحد هذين الاتجاهين ، أية خطوة نحوهما سوف تؤول فى نهاية الأمر إلى ضياع الإسلام أو تخليه عن شخصيته الفاعلة؛ لأنها حتى منذ البدايات الأولى التى


www.noormags.ir

لا تكاد ترى ، تعنى اعترافه الضمنى بأحقية وسلامة الأديان والمذاهب الأخرى ، بكل ما تتضمنه فى أسسها العامة من تناقض مع بداهات الإسلام نفسه ، وبالتالى فهى تعنى التنازل ببساطة عن تفوقه الذى يمنحه مبرر استمراره ، بل مبرر نزوله ابتداء.

ومهما يكن من أمر ، فإنه إذا كان هذا هو الوجه السلبى لمعالجات الغربيين للمشاركة الإسلامية في مستقبل العالم ، فإن ثمة وجهًا إيجابيًّا يتمثل فى أن استنتاجاتهم بهذا الخصوص تجىء كاعتراف حر ، مدعم بالقناعات العقلية وموثق بالمزيد من الرؤى المقارنة ؛ لما يتضمنه هذا الدين من قيم وخصائص متميزة وفعالة يمكن أن تمارس دورها فى صياغة مستقبل الإنسان .

فهل يستطيع أحد - مثلاً - أن ينكر البعد الإيجابى فى قول دوكلاس أرثر من أنه ( لو أحسن عرض الإسلام على الناس لأمكن به حل كافة المشكلات ، ولأمكن تلبية الحاجات الاجتماعية والروحية والسياسية للذين يعيشون فى ظل الرأسمالية والشيوعية على السواء . فقد فشل هذان النظامان فى حل مشكلات الإنسان ... أما الإسلام فسوف يقدم السلام للأشقياء، والأمل والهدى للحيارى والضالين . وهكذا فالإسلام لديه أعظم الإمكانات لتحدى هذا العالم وتعبئة طاقات الإنسان لتحقيق أعلى مستوى من الإنتاج والكفاية)[1] .

إن الرجل ها هنا يشير إلى ثلاث من ميزات الإسلام الأساسية ، وهى الميزات التى يفتقدها العالم الحديث والتى يمكن أن تمارس دورها فى مستقبله : الشمولية ، والوسطية ، والقدرة على الاستجابة للتحديات .

ونحن نستطيع أن نتابع هذه القيم وغيرها فى التحليل القيم للمشرع الدولى الفرنسي المعاصر : مارسيل بوازار ، وخبير العلاقات الدولية ، وهو يتحدث عن مشاركة الإسلام العالمية . إن هذا الدين فى تحليل المفكر المذكور ، ( يعود إلى الظهور

(١) رجال ونساء أسلموا ٥/٥٧.



www.noormags.ir

فى العالم المعاصر بوصفه أحد الحلول للمشكلات التى يطرحها مصير الإنسان والمجتمع ..)[١]

ولطالما أعرب بوازار عن اقتناعه (بأن فى وسع العالم الإسلامى - من بين عوالم أخرى - أن يقدم مشاركة أساسية فى تكوين المجتمع الدولى المرتقب )[٢]. وأنه (يبدو أحد العوامل الممكنة الهامة فى الإنسانية العالمية الحديثة ، وهو مستمر فى البحث عن الأشكال الكفيلة بالتعبير بصورة ملائمة عن تطلعاته )[٣]. والمسلمون ، كما يؤكد الرجل (لايشكون على الإطلاق فى أن التعاليم المنزلة والقيم المتراكمة عبر العصور ، كفيلة بتقديم حل لمعضلات المجتمع المعاصر بإعادة بناء مؤسسات الإسلام السياسية وإنعاش أصالته الخلاقة . و يبدو أن (الإسلام) يشكل أفضل الوسائل الممكنة لإعادة بناء مجتمع ما بعد الإستعمار .وتلك هى دعوته الروحية والسياسية والدولية الحقيقية )[٤].

يواصل بوازار تحليله فيشير إلى الإسلام دين حى وديناميى يحاول إيجاد مجلى لقوته الداخلية للاشتراك فى الحياة الدولية المعاصرة ، وفى مساهمته أن تكون جوهرية ، لا لأنه يملك فقط تجربة عمرها أربعة عشر قرنًا فى العلاقات بين الشعوب ، بل لأنه ينقل - كذلك - رؤية أخلاقية للغاية من القانون الدولى معتبراً أن الإنسان فى التحليل الأخير رعية من رعايا النظام وهدف أخير من أهدافه )[٥]. وهنا بصدد البعد الأخلاقى لمشاركة الإسلام العالمية لم يفيت بوازار أن يشير إلى أن التقدم العلمى المادى لا يكفى وحده ما لم تضبطه القيم الخلقية ؛ فتوجهه بالتالى لصالح الإنسان. ومن خلال هذه الرؤية الأخلاقية للنشاط المادى يمكن للإسلام ( أن يؤدى دوراً حقيقيًّا فى تنظيم العالم المعاصر) عندما يتقدم إليه (بمفهومه السامى للقيم الخلقية)[٦]. ومن بين هذه القيم ذات الطابع العالمى

(١) إنسانية الإسلام ص ٤٣١.
(٢) نفسه ص ٤٣٩ .
(٣) نفسه ص ٣٨٧ .
(٤) نفسه ص٣٣٠-٣٣١.
(٥) نفسه ص ٤٢٦-٤٢٧.
(٦) نفسه ص ٣٦٩.

www.noormags.ir

أو الدولى : الحل الإسلامى لمشكلة الأقليات ذلك الذى تصان فيه حرية الأختيار وتضمن حمايته ( عن طريق أحترام الشخصية والتسامح فى معتقده ) هذا الحل الذى ( يبدو فكرة حديثة ، بل مثلاً أعلى خالداً ) والذى يمكن أن يؤثر (على نمو الوجدان العالمى ) ويساهم ( فى إنشاء الحق الدولى)[١].

ومن بين القيم العالمية أيضًا( مناداة الإسلام بأنظمة عالمية لقيادة النزاعات المسلحة )و (مفاخرته بأنه لم يعرف قط الإبادة الجماعية ، ولا معسكرات الاعتقال ) إنه ( ما يزال يملك فى الوقت الحاضر اعتدالا وحكمة يمكنه أن يجعل الإنسانية تفيد منهما ... ) وباختصار (فإن القانون الدولى الإسلامى يستند إلى مبادئ خلقية متينة تطمح إلى تخطى الواقع البشرى اليومى)[٢]. وما دامت (القيم التى يعبر عنها القرآن لاتزال هى هى، كما لا تزال قادرة على أن تسهم فى بناء عالم أكثر إنسانية)[٣]. فإن الإسلام مدعو دائما ( إلى ممارسة تأثير متزايد على العلاقات الدولية فى المستقبل)[٤].

وأهمية المشاركة تبدو الإسلامية - أيضا - فى نظر بوازار فى التوازن الذى يمنحه الإسلام ، بما أنه تعبير عن روح دينى لمسيرة المجتمع البشرى بين التقدم المادى ( التقنى ) وبين المطامح الروحية والإنسانية عامة ، خاصة وأن « الانخراط فى المجتمع التكنولوجى ، والمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية لاتدفع المسلم إلى إنكار موقفه الدينى، بل إلى تعميقه أمام العالم وأمام الله ، متوجّبًا عليه ... محاولة إدراك الإمكانيات بشكل أفضل فى إطار إسلامى شامل ..)[٥].

إن بوازار يضع يده ها هنا على واحدة من أهم خصائص الرؤية الإسلامية للنشاط الحضارى . إنها معادلة التوازن الملح والمطلوب بين الدينى والدنيوى ، بين السماء

(١) نفسه ص ٢١٢.
(٢) نفسه ص ٢٩٥.
(٣) نفسه ص ٢١٣.
(٤) نفسه ص١٧١.
(٥) نفسه ص ٣٨٧-٣٨٨.



www.noormags.ir

والأرض، وبين الروح والجسد ، فليس ثمة إيمان متحقق فى واقع الحياة إن لم يعبر عن نفسه فى إطار نشاط تتداخل فيه وتتوحد وتتناغم سائر الثنائيات .. والمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية بالتالى ليست مواجهة أضداد متقابلة ، بل هى مقاربة واحتواء وتوظيف للقدرات والإمكانات التقنية من أجل خلق حياة إسلامية أكثر أصالة وتقدماً. إن القناعة الدينية كما يستنتج بوازار تفرض نفسها حكمًا مطلقًا على كل المستويات ، ولا يمكن بدونها ، أو بالحرى على النقيض منها ، مواجهة أى تغير اجتماعى ولا أى تجديد مادى)[1]. وهذا الارتباط المحتوم بين الدين والتكنولوجيا فى المنظور الإسلامى لا يعنى البتة أن حضارة الإسلام ستقود (تطورها داخل أنبيق) بمعزل عن العالم بل على العكس تمامًا، فإن هذه الحضارة ( المتسامحة والمنفتحة بشكل طبيعى ، تتطلع إلى العمل بصفة شريك فعال فى الحياة الدولية..)[2].

ويكفى أن نتذكر الجنوح المادى الذى تعانيه حضارة الغرب ، يكفى أن نفكر فى احتمالاته المنذرة بالخطر، المتوعدة لأمانى الإنسانية، لكى نعرف أن دخول الإسلام إلى الساحة وإعادته الأمر إلى نصابه بتحقيق التوازن المطلوب ليس مجرد مشاركة فعالة ، وإنما هو عملية إنقاذ للوضع البشرى المنحرف عن الصراط والمؤذن بالدمار .

وإذ يؤكد بوازار ما يقدمه القرآن الكريم فى هذا السياق من (ثقة مطمئنة وحافز قوى فى وقت معًا) فإنه يحذر من ( أن إسلام المستقبل ودوره فى العلاقات الدولية ) لاتجىء به الأمانى والأحلام ، إنما هو ( رهن بما يصنعه المسلمون أنفسهم)[2]. وهذا حق ، فما دام المسلمون قاعدين، ما داموا دون مستوى الفعل والتوتر والإرادة ، فإن مشاركتهم لاتعدو أن تكون مجرد خيال يلوح فى الأفق البعيد ، فكيف بهم إذا أرادوا

(١) نفسه ص ٣٨٨ .
(٢) نفسه ص ٣٨٨.
(٣) نفسه ص ٣٨٩ .

www.noormags.ir

تجاوز المشاركة إلى ما هو أبعد وأشد تعبيراً عن طموح الإنسان نفسه ، ألا وهو إعادة صياغة العالم بما يريده الله ورسوله؟

وما قاله بوازار عن احتمالات الدور التوازنى للإسلام فى مستقبل العالم ، وما يمكن أن تفعله القاعدة الدينية للإسلام والتزاماته الأخلاقية فى ضبط وتوجيه الصيرورة الحضارية لصالح الإنسان ، يمكن أن نلحظه ، كذلك لدى ليوبولد فايس ( محمد أسد ) وبمزيد من التفاصيل والمقارنات. إنه يؤكد منذ البدء على أنه ( ليس ثمة علامة ظاهرة تدل على أن الإنسانية – مع نموها الحاضر – قد استطاعت أن تشب عن الإسلام ، بل إنها لم تستطع أن تخلق نظامًا خلقيًّا أحسن من ذلك الذى جاء به الإسلام. إنها لم تستطع أن تبنى فكرة الإخاء الإنسانى على أساس عملى كما استطاع الإسلام أن يفعل حينما أتى بفكرة القومية العليا : ( الأمة ) . إنها لم تستطع أن تشيد صرحًا اجتماعيًّا يتضاءل التصادم والاحتكاك بين أهله فعلاً على مثال ما تم فى النظام الاجتماعى فى الإسلام . إنها لم تستطع أن ترفع قدر الإنسان ، ولا أن تزيد فى شعوره بالأمن ولا فى رجائه الروحى ولا سعادته . ففى جميع هذه الأمور نرى الجنس البشرى فى كل ما وصل إليه مقصرًا كثيرًا عما تضمنه المنهاج الإسلامى : فأين ما يبرر القول إذن بأن الإسلام قد ذهبت أيامه ؟ أذلك لأن أسسه دينية خالصة ، والاتجاه الدينى زى غير شائع اليوم[1].

ولكن إذا رأينا أن نظامًا بنى على الدين قد استطاع أن يقدم منهاجًا عمليًّا للحياة أتم وأمتن وأصلح للمزاج النفسانى فى الإنسان من كل شىء آخر يمكن للعقل البشرى أن يأتى به من طريق الإصلاح والاقتراح ، أفلا يكون هذا نفسه حجة بالغة فى ميزان الاستشراف الدينى ؟)[2] .

يعود فايس فى كتابه الآخر (الطريق إلى مكة ) إلى تأكيد

(١) كان ذلك فى عشرينيات هذا القرن ؛ حيث يتحدث المؤلف ، أما الآن فإن الأمر يختلف تمامًا ، بعد إذ قلبت الصحوة الإسلامية كل المعادلات العتيقة .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص ١١٢– ١١٣.



www.noormags.ir

ملاحظاته السابقة ، فيشير إلى أننا ( قد نكون ، نحن المحدثين ، بحاجة إلى تلك الرسالة بأكثر مما احتاج إليها الناس فى أيام محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ، إنهم كانوا يعيشون فى بيئة أبسط كثيرًا من بيئتنا نحن ، وكانت مشاكلهم ومصاعبهم أسهل حلاً وأيسر إلى حد كبير . لقد كان العالم الذى كنت أعيش فيه أنا - كل ذلك العالم - يترنح بسبب من فقدان أى اتفاق على ما هو خير وما هو شر روحيًّا ، وبالتالى اجتماعيًّا واقتصاديًّا أيضًا . إننى لم أكن أؤمن بأن الإنسان الفرد كان بحاجة إلى ( الخلاص ) ولكننى كنت أؤمن فعلاً بأن المجتمع الحديث كان بحاجة إلى الخلاص . لقد شعرت ، أكثر من أى وقت مضى ، بأن عصرنا هذا كان بحاجة إلى أساس أيديولوجى .. إلى إيمان يجعلنا نفهم بطلان الرقى المادى من أجل الرقى نفسه ، ومع ذلك يعطى الحياة الدنيا حقها ، إيمان يبين لنا كيف نقيم توازنًا بين حاجاتنا الروحية والجسدية؛ وبذلك ينقذنا من الهلاك الذى نندفع إليه برعونة وتهوّر)[1].

إن القضية - بإيجاز - هى أن يكون للحياة البشرية معنى أكبر وأعمق من مجرد التكاثر بالأشياء وأن على المسلمين إذا أرادوا - بحق - أن يقوموا بدور فى المستقبل ألا يسمحوا للأشياء بأن تجرهم بعيدًا عن جذورهم الروحية وقيمهم الأخلاقية التى منحهم الإسلام إياها (فلو أنهم احتفظوا برباطة جأشهم وارتضوا الرقى وسيلة لا غاية فى ذاتها إذن لما استطاعوا أن يحتفظوا بحريتهم الباطنية فحسب ، بل ربما استطاعوا أيضا أن يعطوا إنسان الغرب سر طلاوة الحياة الضائع )[2].

لقد اندفع الغرب بعين واحدة ، وبمرور الوقت أخذ يفقد قدرته على إبصار كل ما هو روحى أو أخلاقى . وبما أن هاتين القيمتين ترتبطان بالوجود البشرى ارتباطًا صميمًا ، بل إنهما هما اللتان تميزانه عن بقية الخلائق والموجودات ، فإن التقدم المادى الذى يمضى بعيداً عنهما لن يخدم الإنسان فى نهاية الأمر، ولن

(١) الطريق إلى مكة ص ٣٢٣-٣٢٤.
(٢) نفسه ص ٣٧٦.


www.noormags.ir

يأمن عواقب الاندفاع الذى لاتضبطه قيم ، ولاتوجهه معايير ، ولسوف تكون النتائج فى المستقبل أشد خطراً؛ لأن التراكم المادى يتزايد بحسابات مذهلة لمتوالية هندسية ، ويبعد أكثر فأكثر عن أيما كسابح أخلاقى أو استبصار روحى لمغزى الحركة ومعناها الأخير ، ومن ثم فإن أحدًا لا يمكن أن يتهم مؤرخا كجورج سارتون ، غرق فى دراسة تاريخ العلوم حتى شحمة أذنيه، بالمبالغة وهو يحكم على ( التقدم المادى الخالص) بأنه أمر ( مدمر ) وأنه (ليس تقدمًا على الإطلاق بل تأخر أساسى) ذلك ( أن التقدم الصحيح - ومعناه تحسين صحيح لأحوال الحياة - لا يمكن أن يبنى على وثنية الآلات ، ولاعلى العتلات ولكن يجب أن يقوم على الدين وعلى الفن، وفوق ذلك كله على العلم ، على العلم الخالص ، على محبة الله ، على محبة الحقيقة، وعلى حب الجمال ، وحب العدل. وهذا يبدو لنا جليًّاحينما نلقى نظرة واحدة إلى الوراء ... إن ما نراه واضحًا هناك يجب أن يكون واضحًا- أيضًا - حينما نمد نظرنا إلى الأمام فيهدى خطانا إلى المستقبل) [1].

المدنية ،كما يؤكد سارتون ليست مرضا ، ولكن من الممكن أن تنقلب شرًّا وفسادا )[2]. وذلك بمجرد أن تفقد بطانتها الروحية وتتنازل عن ضوابطها الأخلاقية فتغدو مجرد محاولة للتكاثر المحض لا هدف لها ولا مغزى . ثم إن المدنية ليست حكراً على بيئة دون أخرى ، إنها بتعبير سارتون ( ليست شرقية ولا غربية ، وليس مكانها فى واشنطون أكثر مما هو فى بغداد ، إنها يمكن أن تكون فى كل مكان فيه رجال صالحون ونساء صالحات يفهمونها ويعرفون كيف يستفيدون منها من غير أن يسيئوا استعمالها . والشرق الأوسط كان مهد الثقافة ومنه جاءت أسباب إنقاذ العالم فى أثناء العصور الوسطى حينما بدأ الستار الحديدى فى أوربا يشطر العالم شطرين : الأرثوذكس والكاثوليك . وها نحن اليوم ننظر إلى ماضى الشرق

(١) الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط ص ٧٢-٧٣.
(٢) نفسه ص ٧٤.



www.noormags.ir

الأوسط بعين من عرفان الجميل ، ثم نرنو إلى مستقبله بعين من الأمل الحلو)[1]. وليس ذلك بالأمر المستحيل كما قد يتوهم البعض ، فإن ( شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم فى حقبتين طويلتين ، طوال ألفى سنة على الأقل قبل اليونان، ثم فى العصور الوسطى مدة أربعة قرون على الأقل . من أجل ذلك ليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية فى المستقبل القريب أو البعيد) [2].

ولن يكون تسلم زمام القيادة من خلال قدرات يصعب التفوق فيها على الخصم ، بطبيعة الحال ، إنما بالتحقق بشىء كبير لا يملكه الخصم أويعرف عنه شيئا . بعبارة أخرى ، فإن العلم المادى الصرف لن يجعل الغرب يخلى الزمام لمن هم أقل شأنًا فى ميادينه كافة ، ولكنها العقيدة التى تحتوى العلم وتمنح المسيرة البشرية المغزى والهدف .. تعيد إلى الغربيين أنفسهم ما فقدوه : ( سر طلاوة الحياة الضائع) إذا استعملنا عبارة ليوبولد فايس.

ويشير فيلويز ، ضابط البحرية البريطانى الذى انتمى إلى الإسلام ، إلى البيانات التى نشرتها الصحف والتى تفيد ( أن الفلاسفة والكتاب فى الغرب يزعمون أن الأديان المعاصرة قد أصبحت بالية عتيقة ولابد من التخلص منها ) ويعقب على هذا بأنه إنما (يبين مقدار التشاؤم الذى تعانى منه جمهرة الكتاب الغربيين بسبب ما يلاقونه من تعقيدات وغموض فى ديانتهم النصرانية . لكن هؤلاء يرتكبون خطأ فالإسلام الذى يمثل الإجابة الكاملة الوحيدة ، ولايزال قائماً وعلى استعداد لأن يكون البديل ، وهو جاهز لذلك)[3].

وتؤكد جميلة قرار التى اعتنقت الإسلام هى الأخرى أن هذا الدين هو (فى الحقيقة حركى ) وأنه ( يستطيع بفضل جهود المسلمين بعد عون الله ، أن يشكل قوة ثورية تحرر الإنسان من العبودية للقوة ، وخاصة القوة المدمرة المهلكة ، وأن تقوده إلى التقدم البناء وتمكنه من تطوير قدراته وإمكاناته

(١) نفسه ص ٧٤-٧٥ .
(٢) نفسه ص٦٩ .
(٣) رجال ونساء أسلموا ٦/٦١.


www.noormags.ir

الإيجابية المختلفة )[١].

وهى تدعو المسلمين المستنيرين إلى أن يبينوا لغير المسلمين( أولئك الذين يبحثون عن غايات جديدة وقيم لحياتهم ، أن الإسلام هو نقطة البدء الجديدة أمام الإنسانية جمعاء)[٢].

وهذا لا يعنى بالتأكيد أيما قدر من التنازل عن المكتسبات المادية أو المدنية عمومًا ، ذلك ( أن الإسلام بصفته دينا عالميًّا ، وعقيدة كونية، يعتبر مناسباً لكافة مراحل تطور الحياة الإنسانية فى المستقبل ، فهو ينسجم مع منجزات الإنسان الحديثة فى كافة مجالات النشاط الإنسانى )[٣]وتمضى، الإنكليزية، عائشة برجيت هونى التى لحقت بزميلتهاوانتمت للإسلام ، لكى تتحدث هى الأخرى، ومن موقع المعايشة المنظور عن ( الظُلمة ) التى يعيشها العالم الغربى اليوم ، وأنه ليس ثمة أى بصيص من الأمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس . فكل من يعرف الوضع الحقيقى للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق والحيرة العالمية التى تختفى خلف بريق التقدم والإبداع المادى الزائف . فالناس فى الغرب يبحثون عن مخلص من العقبات التى تحيق بهم ، ولكنهم لا يرون منها مخرجًا ، فبحثهم عقيم .. والانسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قويًّا فى أيامنا هذه . وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى إلى الفلاح والخلاص الحقيقيين ، وأن يقدم للرجل الغربى التصور الحقيقى للحياة وأن يقنعه بالجهاد فى سبيل مرضاة الله ...)[٤].

ورؤية الإسلام التوازنية التى أشارت إليها هونى والتى تمنح الحياة البشرية توحدها وتحميها من التفكك والتمزق، لتمثل بحق واحدة من أهم نقاط الجذب فى هذا الدين . إن كويلر يونغ يحذر من ( أن عالمنا هذا الذى مزقته الجماعات المتمارية والذى لايعرف حكماً أعلى بيده مصير الإنسانية ليجدر به أن يتدبر تصور

(١) نفسه ٤ / ١٠٨ -١٠٩.
(٢) نفسه ٤ / ١٠٩.
(٣) نفسه ٤ / ١٠٨.
(٤) نفسه ١ / ٦٣ - ٦٤.



www.noormags.ir

الوحدة الجوهرية للحياة كما أسسها الإسلام، ولا شك أن هذه الوحدة- فى أحسن صورها - سيكون لها أثرها بالقوة - إن لم يكن بالفعل - فى الحاجات الروحية للناس فى أيامنا الحاضرة)[1]. ويشير يونغ إلى (نصيب آخر من الفضل للإسلام ) يعتبره متفرعًا عن سابقه ( وهو ما حققه من التسامح بين أجناس البشر .. إن الإسلام - فى إطار الأخوة الإسلامية - يستطيع أن يرى المسيحية نجاحاً حقيقيًّا فعليًّا فى ميادين التسامح البشرى )[2].ليس هذا فحسب، فثمة ((فضل ثالث من أفضال الإسلام) تتيح له مزيدًا من المشاركة فى مستقبل العالم (ذلك الروح الحقيقى) مما يسميه يونغ (الديمقراطية فى عالم - لاشك -محتاج إلى أن يطابق فعله قوله فى هذه الناحية )[3]. هذا فضلاً عما يؤكده يونغ من إسهام للثقافة الإسلامية ( فى الحضارة العالمية المعاصرة) ( فليس من المعقول لثقافة حية كثقافة الإسلام .. ألا يكون لها تأثير بالفعل أو بالقوة[4]. فى معطيات الحضارة الراهنة وتشكلها فى المستقبل.

هذه المشاركة التى يؤكدها المستشرق الفرنسى درمنغم بصيغة تحقيق للتواصل بين الغرب والشرق ، وإرفاد لعالم المستقبل ( باذخار العالم القديم )[5]. ويراها صنوه المسلم «إيتين دينيه» تبشر ( بمستقبل حافل بأعظم الآمال وأعلاها شأنًا ) وبإسهام حضارى فعال وبتكشف متزايد لنا، الإسلام الحقيقى حيث ( ستعرف الأمم المختلفة حقيقته التى حجبت عنهم زمنا ، وسيمد الكل أيديهم لمحالفته متنافسين فى ذلك ؛ لأن قيمته قد خبروها وعرفوا ما يستكن فيه من وسائل القوة التى لاحد لها ولا نفاد)[6].

أما المؤرخ البريطانى المعاصر مونتجمرى وات فيركز استنتاجاته حول المشاركة الأخلاقية للإسلام ،

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٢٥٦.
(٢) نفسه ص ٢٥٦.
(٣) نفسه ص ٢٥٦.
(٤) نفسه ص ٢٥٥.
(٥) حياة محمد ص ٣٧١-٣٧٢.
(٦) محمد رسول الله ص ٣٤٥-٣٤٦.

www.noormags.ir

تلك ( المبادئ التى تكون إضافة فعلية لتحسين حالة العالم ) والنبى الذى (يقدم ، بحياته ، أحد النماذج الممكنة للإنسان المثالى الذى يعيش فى عالم موحد القيم الأخلاقية )[١]. وهو يؤمّل بأن المسلمين سوف ينجحون رغم المصاعب ( فى جهدهم للتأثيرعلى الرأى العام العالمى ، على الأقل فيما يتعلق بالمبادئ الأخلاقية . وربما أمكنهم فى ميدان الأفكار الدينية الأوسع أن يساعدوا على إغناء العالم ، لأنهم احتفظوا بقوة كبرى فى التعبير عن بعض الأفكار التى أهملت ونسيت فى كثير من الطوائف والأديان الأخرى الموحدة) [٢].

ويلحظ هارولد سمث ، نائب رئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية أوهايو الأمريكية ، ما يمكن اعتباره دوراً مزدوجًا للمشاركة الإسلامية يقوم على الوسطية والعالمية فى الوقت نفسه ، ويبدو لذى النظر السطحى ألا ترابط بين الخطين ، ولكن الواقع شىء آخر فثمة الارتباط الوثيق حيث لن تتحقق العالميَّة بمنظورها الإسلامى المتميز ما لم تكن هناك أمة وسط ترفض الانحراف والتلاشى فى اليمين أو اليسار وتقدر بحمايتها لذاتها العقدية على أن تمارس دوراً فعالاً فى وحدة البشرية أو تقاربها على الأقل ، لأنها حينذاك ستقدم إضافة حقيقية وإغناء ذا قيمة بالغة للتجربة البشرية التى تقاذفتها رياح التشريق والتغريب ومزقها الاصطراع بين الفردية الطاغية والجماعية الصماء ( إن العالم الإسلامى فى وضع يسمح له أن ينمى فلسفته الخاصة المتميزة دون أن يدفعه التقليد الأعمى إلى اتباع الأشكال الشيوعية أو النظرية السياسية الغربية التى تتجه إلى الفردية.. لقد رأينا أن الإسلام يعترف بالقيمة الذاتية للأفراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله ومسؤولين أمامه عن أعمالهم . وهذا يعنىأ نه لا يمكن لأى فرد أن يندمج اندماجًا كاملاً فى بناء جماعى قاهر يستغنى عن الفرد إن لم يخدم غرض الدولة دون نقاش ، وهذا لايمكن أن يكون فى مجتمع

(١) محمد فى المدينة ص٥٠٨-٥٠٩.
(٢) نفسه ص ٥٠٩.



www.noormags.ir

إسلامى[1].

وانطلاقًا من هذا التميز من حيث العلاقات الدولية فإن الأمم الإسلامية، أو الجماعة الإسلامية الكبرى يجب أن تكون فى طليعة المنتصرين لخلق نوع من المجتمع العالمى من الأمم ومن العاملين على إيجاد مثل ذلك المجتمع الذى ينظمه ويسيطر عليه قانون دولى)[2]. بل إن سمث يمضى إلى ما هو أبعد من هذا، فإنه ( لو أمكن إثارة التماسك الإسلامى فى سبيل أغراض إيجابية ، وتكتيل الأمم الإسلامية الكثيرة المختلفة فى وحدة حية ، لأمكن أن تصير هذه الوحدة قوة إيجابية فى العالم. بل إن هذه الوحدة لتكون أكثر فاعلية إذا أدخلت فى نطاقها من سواها ، وإذا بلغ من سماحتها أن تشرك فى وجدانها وفى أخوتها كل مخلوقات الله . ما أروع أن تحتج باكستان على مظالم حلت بأمة أخرى شديدة البعد عنها جغرافيًّا؛ لأن تلك الأمة تنتمى إلى جماعة الأمم الإسلامية! وأروع منه وأجدر أن يضيئ طرقًا جديدة فى عالمنا الذى مزقته الحرب ، أن تنهض أمة إسلامية باسم المقاصد الحقة التى يوجه إليها الله الواحد ، وباسم الرابطة التى تربط بنى الإنسان - محتجة على ظلم أصاب أى شعب ولو كان خارج الكتلة الإسلامية )[3].

إن ملاحظات سمث هذه تذكرنا باستنتاج المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى فى كتابه ( الإسلام والغرب والمستقبل) بصدد الأخوة الإنسانية كتقليد إسلامى أصيل يمكن أن يقدم للعالم الذى مزقته الإقليميات والعرقيات سبيلاً للتوحد والتقارب والالتئام : ( الآن ، بعد أن طويت المسافات بتقدم التقنيات الغربية ، وفى الوقت الذى تتنافس فيه طرق الحياة الغربية مع طريقة الحياة الروسية لكسب ولاء البشرية كلها ، الآن ، يظهر أن التقليد الإسلامى فى أخوة الإنسان للإنسان هو مثل أعلى يوافق حاجات العصر الاجتماعية ، وهو أفضل من التقليد الغربى الذى أدى إلى قيام عشرات الدول الصغيرة ذات السيادة على أساس الإختلاف العرقى.

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٧٥.
(٢) نفسه ص٧٧ .
(٣) نفسه ٧٥ -٧٦.

www.noormags.ir

وفى الواقع الحاضر الذى يجد الغرب نفسه فيه منذ الحرب العالمية الثانية، نرى أن تجزئته إلى أكثر من أربعين دولة مستقلة ذات سيادة يهدد بإنهيار البيت كله على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه .. ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامى على كل حال ، إيقاف انتشار هذا الداء السياسى الغربى ، وذلك عن طريق الشعور الإسلامى القوى بالوحدة )[١].

وإلى جانب مجابهة التمزق العرقى واحتوائه يمكن للإسلام - كما يلاحظ توينبى - أن يحقق نجاحاً باهرًا في مجابهات أخرى نفسية ومادية تشكل ما يعتبره الرجل - بحق - خطراً على أمن المجتمع العالمى وتوحده ، وأبرز هذه المخاطر ولا ريب أمران : التمييز العنصرى والخمر ( ففى مجال الصراع ضد هذين الشرين نجد للفكر الإسلامى دوراً يؤديه ويبرهن فيه -إذا سمح له بتأدية هذا الدور- عن قيم اجتماعية وأخلاقية سامية . فعدم وجود التمييز العنصرى بين المسلمين هو أحد أبرز الإنجازات الأخلاقية للإسلام ، والعالم المعاصر فى وضعه الراهن بحاجة ماسة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية .. إن قوى التسامح العنصرى ذات أهمية ضخمة للإنسانية ، وهى الآن ، على ما يظهر تخوض معركة خاسرة على الصعيد الفكرى ؛ إلا أنها قد تتمكن من الغلبة إذا ساندها ونزل إلى جانبها فى المعركة رصيد من النفوذ القوى المناضل الذى لم يزل حتى الآن احتياطيًّا . والذى أتصوره أن روح الإسلام ستكون التعزيز المناسب الذى سيقرر مصير هذه المعركة لمصلحة التسامح والسلام)[٢].

وليس من العسير أن نعرف لماذا أثارت قدرات الإسلام فى هذين المجالين دهشة مؤرخ كتوينبى ، وذلك بمجرد أن نتذكر العمق التاريخي والأخلاقى لظاهرتى التمييز العرقى والإدمان، أى تأصلهما فى صميم الممارسة البشرية على مستوى الأفراد والجماعات ، وأن نتذكر كذلك النتائج السلبية المدمرة التى كانت

(١) الإسلام والغرب والمستقبل ص ٢٨.
(٢) نفسه ص ٦٢-٦٤.



www.noormags.ir

تتمخض ولا تزال عن ( هذين الشرين) على مستوى الأفراد والجماعات والأخلاق والسياسات على السواء.

وإذا كان الإسلام قد نفذ مجابهته للتمييز العنصرى بنجاح ، عبر مراحل شتى من التاريخ ، فإنه قدير على مواصلة الدرب نفسه فى الحاضر والمستقبل (فإذا ما سبب الوضع الدولي الآن حربًا عنصرية ، فإنه يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخى مرة أخرى)[1].

ونصل فى نهاية المطاف إلى جارودى فإن كتابه (وعود الإسلام)[2]. يعد بملاحظات خصبة عن المشاركة العالمية لهذا الدين . إن عنوان الكتاب يحمل بعدًا مستقبليًّا ، وبالتالى فإن مادته القيمة ستصب هناك لكى ترسم للإنسان المعاصر ، الحائر ، الضائع ، الممزق ، ما يمكن أن يقدمه له الإسلام يومها.

تتحرك ملاحظات جارودى حول مشاركات الإسلام العالمية على عدد من المحاور أهمها ولا ريب : توازن الإسلام ووسطيته ، قيمه الأخلاقية ، رؤيته الشمولية وقدرته الفذة على منح المغزى لمسيرة الحياة البشرية فى هذا العالم.

إن الإسلام بوسطيته العقدية وتركيبه المتوازن الذى يلم ويناغم بين سائر الثنائيات التى مزقت الحياة البشرية ، لهو الحل الوحيد لمستقبل الإنسان إذا أريد لهذا المستقبل أن يتشكل بعيداً عن الممرات الضيقة والطرق المسدودة للحضارة الغربية وللمذاهب الوضعية المعاصرة على السواء : ( إن الإسلام - يؤكد جارودى - هو الوحيد اليوم القادر على فتح طريق أمام المستقبل خارج النمطين ، الأمريكى الرأسمالى، والاشتراكى السوفيتى[3]. اللذين آلا إلىطريق مسدود ، وأن يجنبنا حربًا نووية قد تؤدى بالكون إلى الهلاك المحقق ).[4] ويتساءل: ( أليس

(١) نفسه ص ٧٣.

(٢) ترجمة ذوقان قرقوط، الوطن العربى ، القاهرة - بيروت - ١٩٨٤م .

(٣) أنجزجارودى كتابه المذكور قبيل سقوط الاتحاد السوفياتى .

(٤) د.محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ، سلسلة كتاب الأمة ، الدوحة- ١٤٠٤هـ ، ص ١٤٤- ١٤٥ ( عن محاضرة ألقاها جارودى فى جامعة قطر فى كانون الثانى١٩٨٣ م بعنوان: الإسلام وأزمة الغرب) .

www.noormags.ir

التسامى والجماعة هما الإسهام الذى يستطيع الإسلام اليوم أن يقدمه لخلق مستقبل بوجه إنسانى فى عالم جعل استبعاد السمو منه ، وتدمير الجماعية بالفردية ، وسيطرة نموذج جنونى من النمو ، وضع راهن لا يمكن أن يعاش)[١]. التسامى الذى يعزز فردانية الإنسان ويمنحها بطانة أخلاقية ، سنتحدث عنها بعد قليل ، والجماعة التى يعرف الإسلام كيف يجذرها فى الأرض ويجعلها واقعًا منظوراً عن طريق ربطها بأصولها ومطالبها الدينية. تلك هى إحدى التوازنات الأساسية التى تميز الإسلام على كل مذهب أو دين ، وتمنحه بالتالى القدرة على الخروج بالبشرية المسحوبة صوب أحد القطبين ، من طريقها المسدود : ( اليوم ... إذا عرف الإسلام كيف يحل مشكلات عصرنا ، بروح مجتمع المدينة ) الذى صاغه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ( .. إذن لاستطاع أن يشق لنفسه ، ليس فحسب من أجل المسلمين ، وإنما بصورة شاملة ، آفاق اشتراكية لا تشلها قط العلمانية الوضعية ذات الجذور الشيوعية (ولا الفردانية الغربية) ذات التوجه الرأسمالى (وإنما تخصبها القيم الأساسية التى سبق لها أن ابتعثت مجتمع المدينة ببزوغ شعلة الأمل : التسامى والمجتمع)[٢]. ويمضى جارودى إلى القول :( إن الإسلام ؛ إذ يرفض الثنائيات الخاطئة فى السياسة والعقيدة، ويحول دون أن نخلط العلاقات بين السياسة والعقيدة ( التى هى علاقات بين بعدين من أبعاد الإنسان فى الإسلام ) مع العلاقات بين الكنيسة والدولة (التى هى علاقات بين مؤسستين تاريخيتين) وإذ هو يربط بصورة لا انفصام فيها بين التسامى والمجتمع ؛ فإنه يستطيع أن يساعدنا على إحياء المسيحية نفسها وعلى التغلب على أزمة تفكك النسيج الاجتماعى )[٣]. أى بعبارة أخرى إحياء الفردانية المتسامية التى نادت بها المسيحية الأصلية، وحماية الروح الجماعية المهددة بالتفكك والدمار، والتى هى ضرورية بنفس القوة والأهمية للحياة البشرية إذا ما

(١) وعود الإسلام ص ٣٦.
(٢) نفسه ص٣٧- ٣٨ .
(٣) نفسه ص ٦٥- ٦٦ .



www.noormags.ir

أريد لها التوازن والاستمرار : (إن الإسلام يجد من جديد فرصة تاريخية لإظهار أن عقيدته هى إجابة على قلق عالم قاده النموذج الغربى للنمو إلى التفكك الاقتصادى والسياسى والأخلاقى ، كما فى أيام نشوئه ثم زمن انتشاره ، إن الإسلام قدم جوابًا على تفتت الإمبراطوريات)(١).

هناك البطانة، أو القاعدة الأخلاقية للإسلام ، ما يتيح له مشاركة أشد فعالية فى مستقبل العالم الذى أفلتت من بين يديه مؤشرات وضوابط القيم الخلقية، فاندفع بما يشبه الجنون ، مشدوداً إلى هدف واحد : المزيد من التكاثر بالأشياء والمزيد من القوة ، بغض النظر بالكلية عن أيما قدر من الانسجام بين هذين الهدفين وبين إلزامات القيم الخلقية من أجل صالح الإنسان . إن هذه المشاركة الأخلاقية، كما يلحظ جارودى ، ضرورية جدًّا لوقف الاندفاع المجنون وتجنيب البشرية (حربًا نووية قد تؤدى بالكون إلى الهلاك المحقق ) .. إبعاد العالم عن (الهلاك المحتوم) الذى يسوقه إليه (الضلال الغربى)(٢).

ونحن نعرف جميعاً ، انطلاقا من هذه الرؤية ، ما الذى فعله ويمكن أن يفعله العلم الغربى المنفصل عن ضوابط القيم، وذلك بتعبده لإثنتين فحسب : التكاثر والقوة . ونعرف - بالمقابل- ما الذى فعله ويمكن أن يفعله العلم الإسلامى المنضبط بالأخلاق وبالغايات الدينية فى نهاية الأمر يقول جارودى : ( لم نشدد على الوجوه التى لعب بها العلم الإسلامى باكتشافاته ، دور( الرائد) للعلم الغربى الحالى ،و إنما على صفاته الخاصة فى تبعيته وخضوعه للوسائل الإنسانية ذات الغايات الإلهية . فى هذا المنظور ، على القرن العشرين ، وعما قليل على القرن الواحد والعشرين ، أن يتعلما كثيراً من الإسلام) (٣).

أيضًا فإن الإسلام بتقديمه فكرة التسامى (الأخلاقى) للإنسان لواحدة من أهم مرتكزاته العقدية ، التسامى

(١) نفسه ص٢٠٨- ٢٠٩.
(٢) عن محاضرة جارودى فى جامعة قطر ( كانون الثانى ١٩٨٣م) .
(٣) وعود الإسلام ص١١١ .

www.noormags.ir

الذى يكون المؤمن فيه فى حالة صيرورة متواصلة نحو الأحسن والأعلى ، هذه الفكرة لهى واحدة من أهم ما يمكن أن يقدمه الإسلام (لخلق مستقبل إنسانى فى عالم جعل استبعاد السمو منه وسيطرة نموذج جنونى من النمو ... لا يمكن أن يعاش ..)[١].أما رؤية الإسلام الشمولية ، والمغزى الذى يضفيه على الحياة البشرية فتكاد تكون أهم إسهاماته المقبلة إذا ما تذكرنا كيف يتزايد الإحساس العالمى بالعبث واللا جدوى، وكيف تفقد الحياة البشرية يوماً بعد يوم طعمها ومعناها ، وكيف يتحول السعى إلى نشاط تجريدى منفصل عن الإنسان ، نقيض أحياناً لمطالبه ومطامحه ورؤاه ، وكيف تتفكك العلاقة بين أقطاب الكون وموجوداته فيعيش الإنسان فى عزلة مخيفة قد يكفى لتذكر مرارتها وأحزانها أن نلقى مجرد نظرة سريعة على آداب العصر وفنونه وإعلامه وفلسفاته .

لقد فقد الإنسان الغربى كل وحدة فى علاقاته مع الطبيعة والمجتمع والله . انفصل عن الطبيعة التى اعتقد أنه سيدها ومالكها .. ولم تساعد المسيحية الإنسان - مع حذرها الأول بإزاء الطبيعة .. ومع تراجعاتها المتتالية منذ عصر النهضة ، أمام (علموية) تدعى الإجابة على جميع مشاكل الحياة - على الحفاظ على هذا البعد الكونى ، على هذ الاتحاد الحميم بجميع الكائنات ، والإسلام عندما لا يكون قد أفسدته الرؤية الغربية المباشرة التى فرضها عليه الاستعمار يستطيع أن يساعدنا على أن نعى هذه الوحدة التى هى عقيدته المركزية الأولى[٢].

وإذا كان الإسلام قد أنقذ من التفتت من قبل ، فى القرن السابع من تاريخنا كما يلحظ جارودى إمبراطوريات عظيمة متهاوية ، أفلا يستطيع اليوم أن يسهم بالإجابة على جزع ومسائل حضارة غربية تكشفت عن أنها قادرة على أن تحفر قبراً على مستوى العالم ، وأن تعمل على تغطية أسطورة إنسانية أنشئت منذ مليونى عام ، بفعل الابتكارات

(١) نفسه ص٣٦.
(٢) نفسه ص ٦٤.



www.noormags.ir

والتضحيات)[1].

وبإيجاز شديد ، فإن (عقيدة الإسلام وقصدياته) لهى الإجابة على قلق العالم الحديث الذى يصنعه ويقوده النموذج الغربى [2]. هذا النموذج الذى إن كان له أن يتباهى بما صنعت يداه ، فليس له أن يشير إلا إلى العلم والتقنية التى بلغ بهما - والحق يقال - مرتقى صعباً . ولكن حتى ها هنا ، حيث لا يمكن للعلم والتقنية أن ينفردا بمصير الإنسان بعيداً عن ارتباطاتها بفكرة ما ، بفلسفة أو عقيدة تؤطر حركتها وتربطها بالإنسان نفسه ، وتمنحها المعنى والهدف والمغزى ، حتى ها هنا فإن الإسلام وحده ، يمكن أن يمنحنا الجواب . إن جارودى يتساءل : ماذا يستطيع الإسلام أن يقدم لنا ليعدنا للإجابة على المسؤوليات التى تفرضها قدرة العلم والتقنية على جميع البشر اليوم) وما يلبث أن يجيب :(أن المشكلة كونية ، ولا يمكن للجواب إلا أن يكون على المستوى الكونى)[3]. وهكذا تصير مشاركة الإسلام القادمة أكثر من ضرورية .. تصير أمراً محتمًا ؛ لأنها لن تدخل الساحة لكى تعالج هذه الجزئية أو تلك ، ولا لكى تمنح العلاج لهذه المشكلة المحدودة أو تلك ، وإنما لكى تعيد تصميم الحياة البشرية بما يرد إليها قيمتها الحقة ويمنحها هدفًا ومغزى ويربطها بالإنسان نفسه ، محققًا التناغم والانسجام بين أقطاب الكون بعد إذا أقام الفكر الوضعى بينها الأسلاك الشائكة ، وكهربها بالكراهية والبغضاء ، وهكذا يغدو بعث الإسلام كبعث الإنسانية بأكملها ) يقول جارودى مشيراً إلى المستقبل ، ومقارنًا بما تحقق فى الماضى حيث صارت : ( ملحمة الإسلام فترة مجيدة مشرقة فى الملحمة البشرية)[4]. إنها إذن ( قضية مستقبلنا . قضية مستقبل جميع البشر) ومن ثم فإن (وعود الإسلام ) ليس كتابا فى التاريخ كما يؤكد صاحبه لكنه اقتراب جديد من الإسلام ، ومن وراء

(١) نفسه ص ٢٢-٢٣

(٢) نفسه ص ٢٠٨- ٢٠٩.

(٣) نفسه ص ٦٧.

(٤) نفسه ص ١٧٩ .

www.noormags.ir

الإسلام ،كقوة حية ليس فقط فى ماضيه وإنما فى كل مايستطيع أن يسهم به فى ابتكار المستقبل)[١].

ونحن نمضى إلى نهاية بحثنا هذا تستوقفنا فى كتاب جارودى هذا شهادة على غاية الأهمية ؛ لأنها تتضمن قاعدة الدور الإسلامى المنتظر ومنطلقه ، بل مفتاح عقيدته ورؤيته للعالم ونزوعه الانقلابى، وقدرته المعجزة على التماس مع الحياة وإعادة صياغتها بما يضعها فى إطارها الحق ويمنحها الهدف والمغزى، تمامًا كما فعل لحظة إطلالته على العالم زمن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) وكما هو قادر على أن يفعله فى كل زمن : ( لا إله إلا الله ) هذا الإثبات الأساسى للإيمان الإسلامى ) [٢].

إن جارودى الذى اختار الإسلام ، ليعرف جيداً ما يقول ، بل إنه ليشير بالوضوح المطلوب على أس الأسس فى بنيان الإسلام ، وفى إسهاماته العالمية كذلك ، وهو يعرف - أيضًا - أن (لا إله إلا الله ) تعنى أول ما تعنى إعلان الحرب على الوثنية وإقصاءها ، ليست وثنية قريش وحدها ، ولكنها وثنية العالم كله .. وثنية العالم المعاصر على وجه التحديد . فها هنا حيث تأخذ برقاب الإنسان، وتفصله عن ارتباطاته بالكون ، وبمصيره ، يغدو شعار ( لا إله إلا الله) بكل جذريته،وقدرته الانقلابية على التغيير، وحربه التى لا هوادة فيها للوثنية بكل صيغها ورموزها وأشكالها وطقوسها، ضرورة المصير البشرى وحتميته ... فها هى ذى الصنمية ، كما يسمها جارودى ( تفرخ وتتكاثر فى مجتمعاتنا: صنم النمو صنم التقدم، صنم التقنية العلموى ، صنم الفردانية وصنم الأمة ، صنم قوة الأسلحة والجيوش بمحذوراتها جميعاً ومحرماتها وبرموزها الـ( مقدسة ) وبطقوسها . كلا!! يذكرنا الإسلام ، ( لا إله إلا الله ) ، الله أكبر . وإننا لنعرف بالتأكيد ما لهذا اليقين فى العقيدة من قوة هدم وتحرير دفعت الجيوش إلى التراجع ، فى حين أن عقيدتنا منذ زمن طويل ، لم تعد تدفع على التراجع شيئا ذا بال...

(١) نفسه ص١٨٧.

(٢) نفسه ص ٢١٧.



www.noormags.ir

فالحوار هكذا مع الإسلام يمكنه أن يساعدنا على ابتعاث خميرة عقيدتنا الحية فينا ، تلك التى تستطيع نقل الجبال من مواضعها...)[1] حقا، إن الإسلام يحمل بذور تغيير جذرى على مستوى الإنسانية ..)[2] وهى كلمات تلخص ، بكل ماتتضمنه من وضوح فى الرؤية ، وحرارة فى الإيمان قضية هذا الكتاب.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) نفسه ص ٢١٧-٢١٨ .
(٢) نفسه ص ١٥٦.


www.noormags.ir

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

www.noormags.ir